



مرثية بالدموع

(الى روح زوجتى نهلة التى رحلت عنى

فى يوم الجمعة السابع من سبتمبر 2012 ..)

ايتها المرحلة الغالية

بعد مرض صادم ومتسارع

كنا نعلم انه فتاك

لكننا كنا نؤكد امامك انه سيزول

اما انت .. فكنت تدركين بيقين

انه نذير النهاية

ومع ذلك كنت تبترسمين

واحيانا — مثلما هي عادتك — تضحكين

وهكذا جعلتنا الماساة

نلعب معا لعبة واحدة

اشتركنا فيها جميعا :

الكبار والمأطفال

وانت فى وسط الدائرة

كنت تباين المشوط دائما

ولما تسمحين لنا بانتهاءه !

جالسة على سريرك

وحولك جهاز التنفس

وبعض لعب حفيدتك الماثيرة

كنت تحكين لها الحكايات المسعيدة

من طفولتك البعيدة ..

وكانت الفتاة تصغى اليها بشغف

ولما تشيع منها ابدا

ومع انك كنت تغالبين النوم ،

تظلين تحكين لها .. حتى تنام فى حجرك !

وكان التلفزيون

يحمل اليك اليك افراح العالم واحزانه

فكنت بقلبك الطيب لنا تتوقفين عند المآسى

بل كنت تنتقين لنا الاخبار المفروحة

وتروينها لنا

لكى تسعيننا بها !

عطوفة على الفقراء والمحتاجين

سواء من اقاربك او من غيرهم

ولم نعلم الما بعد رحيلك

كم انفقت من الجهد والمال ،

وكم ضحيت بالراحة والاسترخاء

لكى تزورهم فى مساكنهم النائية

وتتحمليين ، من اجل الوصول اليهم ،

اصعب المشاق !

لم نقدر قيمتك كما ينبغى

وقد اخطانا كثيرا فى حقك

لكن قلبك الكبير كان يسامحنا دائما

ولعله لم ينم يوما ،

وهو غاضب علينا ..

لقد كان كالبحر في اتساعه وزرقة مياهه

وكالنسيم الصافى ..

الذى يرطب الروح ، قبل ان يجفف العرق !

حتى اليوم .. لم يمض عام كامل على فراقك

بل عدة شهور فقط

والاحساس بفقدك مشتعل لنا يحمد

كما ان الدموع على فقدك

حين تملأ العينين والقلب معا

تكاد تمنعني من الكلام

الموت ..

اعلم انه قد تاخر عني طويلا

وانه سيأتي الى قريبا

وقد اصبحت انتظره بعد رحيلك في كل لحظة

لانه هو الذي سيجعلني اتجاوز هذا الجدار..

جدار الحياة المملة التي تبعدني عنك

وتمنعني من الحديث اليك !

ما اقسى ان يعيش الانسان

بعد رقيقة عمره الماصغر سنا !

الم يكن من العدل ان يموت الاكبر قبل الماصغر ؟!

لكن لا اعتراض على قضاء الله ،

ولما على قدره .

فهو سبحانه الذى يحدد لنا جميعا

وقت الوداع ، ومكان اللقاء !

معذرة .. فان العقل امام الحزن يكاد يتلاشى

والحكمة امام الموت لا تكاد تتماسك

والصبر ..

ذلك الدواء العزيز جدا

لا يوجد فى كل صيدليات الارض !

ومع ذلك ، ينصحنى الناس من حولى .. بالصبر

ويقولون مؤكدين : سوف تنسيك الايام !

لكننى اقول باعلى صوتى : انها لا تزيدنى الما احتراقا

وكلما شاهدت احدى صورك ،

او وقع بصري على احد ثيابك بالمنزل

او حتى احد اذيتك

لا اتملك نفسى من الميكاء ،

الذى يظن على عيني احيانا .. ببعض الدموع !

حبيبتي الراحلة ..

لا يمكن لوجه امرأة اخري ان ينير ظلمة حياتى

كما انارها وجهك انت

ولما لاي صوت ان ينساب في روجي

كما انساب صوتك انت

ولما لاي حزن دافئ ومريح

ان اسكن فيه كالعصفور .. مثل حزنك انت

فليحفظك الله في عليائه

ولتفرغ حولك ملائكته باجنحتها !
